سلسلة مطويات شبكة بينونة

أثر الإيمان في حياة الإنسان

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ..

إن من أعظم النعم، وأجلِّ المنن، وأكبر العطايا، وأشرف الهبات: نعمة الإيمان.

نعمة الإيمان التي قد فقد الشعور بفضلها والحاجة إليها كثيرٌ من الناس، قال تعالى مبيِّنًا فضله وامتنانه على عباده بهذه النعمة:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[الحجرات:٧-٨].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ». [رواه الحاكم]

فإنّ من أكبر المنن أن يُحبِّبَ الله جَلَّجَلَالُهُ الإيمان للعبد، ويُزيِّنه في قلبه، ويُذيقه حلاوته، ويُلهمه العمل بمقتضاه، ويُعينه على تطبيق شرائعه.

فإذا تقررلنا هذا في النفوس، ورسخ معناه في القلوب، فإن على الصادق في إيمانه أن يتعلم ضابط الإيمان الذي أمر الله جَلَّجَلَالُهُ به، وأن يقف على كماله وعوائده الحميدة، وأن يعرف مراتب أهل الإيمان، وأن يسعى للعمل بالأسباب التي تزيد في إيمانه وتقوّيه، وأن يتوقَّى الأشياء التي تُنقصه وتضعفه، وأن يتصف بصفات أهله، إلى غير ذلك من الحقائق الشرعية لهذه الدرجة العظيمة من درجات الدين. ألا وهي الإيمان.

الإيمان: هو الإقرار التام والاعتراف الكامل بكل ما أمر الله جَلَّجَلَالُهُ به

ورسـوله، والانقيـاد لـه ظاهـرًا وباطنـا، فالإيمـان هـو اعتقـاد القلـب المتضمـن لأعمـال القلـوب وأعمـال البـدن، وهـذا شـاملٌ للقيـام بالديـن كلـه، ولهـذا كان أئمـة السـلف يُقـرّرون ويقولـون: الإيمـان قـولٌ وعمـل.

*قـول القلـب -أي اعتقـاده- وقـول اللسـان.

*وعمل القلب واللسان والجوارح.

قـال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وقـال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فأخـبر جَلَّجَلَالُهُ أن الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومـن معـه مـن المؤمنـين آمنوا بهـذه الأصـول، وهـي الإيمـان بـالله وَمَلائِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُـلِهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ، ولـم يُفرِّقـوا بـين

أحدٍ من الأنبياء، بل آمنوا بهم جميعًا، وبما أتوا به من عند الله جَلَّجَلَالُهُ، وأنهم التزموا طاعة الله، فقالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة:٢٨٥] وطلبوا من ربهم جَلَّجَلَالُهُ أن يُحقّق لهم ذلك، وأن يعفو عن تقصيرهم ببعض حقوق الإيمان، وأن مرجع الخلائق كلهم إلى الله جَلَّجَلَالُهُ، يُجازيهم بما قاموا به من حقوق الإيمان، وما ضيَّعوه منها.

ومن دخل الإيمان في قلبه وخالطت بشاشته فؤاده، واستجابت جوارحه لنداء ربه جَلَّجَلَالُهُ. فليُبشر بما أخبر الله جَلَّجَلَالُهُ به في كتابه، ووعد به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في سنَّته من العوائد المباركة، والثمرات الطيبة، والفوائد النافعة العاجلة والآجلة على القلب والبدن لصاحب الإيمان.

فمن ثمار الإيمان: الارتباط بولاية الله جَلَّجَلَالُهُ، قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ثم بيّن

صفتهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٦٣]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[البقرة:٢٥٧].

ومن ثمار الإيمان: الفوز برضا الله جَلَّ جَلَالُهُ، والنجاة من الشدائد، والحفظ من المكاره، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[الحج:٣٨].

ومن ذلك أيضًا: التنعُّم بالحياة الطيبة والعيش الآمن في هذه الدنيا، قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧].

وصاحب الإيمان يُهدَى إلى الحق علمًا وعملًا، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾[يونس:٩].

ومَنْ صَدَقَ في إيمانه مع ربه. انتفع بالمواعظ والخطب والتذكير وغير ذلك، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات:٥٥].

والمؤمن حقًّا: محبوبٌ لله جَلَّ جَلَالُهُ،

ومحبوبٌ بين عباد الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[مريم:٩٦]. أي: محبةً ووِدادًا في قلوب الخلق وأهل السماء وأهل الأرض.

وبالإيمان ينال المرء الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة.

*قال سبحانه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

*وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[البقرة:٢٥].

*وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي: لم يخلِطوا توحيدهم وإيمانهم بشرك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

فإذا وقر الإيمان في القلب. أثَّر في صاحبه ولا بد، فاتّصف بكل خلقٍ نبيل، وقام بكل عملٍ جليل، وحرِص على رضا ربه في صغار الأمور وكبارها، وجدَّ في تحقيق خصال الإيمان،

فالإيمان ليس بالتحلِّي ولا بالتّمنّي، ولكنْ ما وقر في القلب، وصدَّقته الأعمال.

*قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣] إلى آخر الآيات.

*وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر الآيات.

*وقال سبحانه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وهكذا بيَّن لنا ﷺ صفات أهل الإيمان وخصالهم.

*فقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». [رواه الترمذي]

*وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إيمَاناً أحسَنُهُم خُلُقاً، وخيارُكُم خِيارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». [رواه الترمذي]

*وقال ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ

يَـزْنِي وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ، وَلاَ يَسْـرِقُ السَّـارِقُ حِـينَ يَسْـرِقُ وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ، وَلاَ يَشْـرَبُ الْخَمْـرَ شَـارِبُهَا حِـينَ يَشْـرَبُ وَهُـوَ مُؤْمِنٌ». [متفق عليه]

وهـذا يعـني أنّ الإيمـان يمنـع صاحبـه مـن الوقـوع في الفواحـش، وقـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّـهُ لَـهُ خَـيْرٌ، وَلَيْـسَ ذَلِـكَ لِأَحَـدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِـنِ: إِنْ أَصَابَتْـهُ سَـرَّاءُ شَـكَرَ فَكَانَ خَـيْراً لَـهُ، وَإِنْ أَصَابَتْـهُ ضَـرَّاءُ صَـبَرَ فَكَانَ خَـيْراً لَـهُ». [رواه مسلم]

وإن مـن المسـائل الكبـار والأصـول العِظـام الـتي ثبتـت بالأدلـة القطعيـة كتابًـا وسـنَّةً وإجماعًـا، وتتابـع أهـل السـنة علـى مـر العصـور وتعاقـب الدهـور علـى تقريرهـا: أن الإيمـان يزيـد وينقـص، ويقـوى في القلـب ويضعُـف.

*فيزيـد بالطاعـة والإقبـال علـى الله جَلَّ جَلَالُهُ.

*وينقص بالمعصية والإعراض عن سبيل الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[الأنفال:٢].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر:٣١].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[محمد:١٧].

وإذا تبيَّن ذلك فعلى المسلم الصادق في إيمانه أن يسعى إلى تحصيل الأسباب التي تحفظ إيمانه، وتزيد من قربه من ربه، وأن يتجنّب الأسباب التي تُنقص إيمانه وتُبعده عن ربه، فهكذا كان سلفنا الصالح -رَحِمَهُم الله تَعَالَى-.

*كان عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: "تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ونزداد إيمانًا بطاعته".

*وكان أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: "من فقه العبد أن يعلم أمُزْدادٌ هو أو منتقص؟".

*وقال عُمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

"الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمِدنا وسبّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نُقصانه".

ألا وإن من أعظم أسباب زيادة الإيمان:

-قراءة كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ، وتدبُّره والوقوف على معانيه.

-ومعرفة أسماء الله جَلَّجَلَالُهُ الحسنى وصفاته العُلى.

-والتأمُّل في سيرة النبي الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

-وفي محاسن هذا الدين العظيم الذي أكرمنا الله جَلَّجَلَالُهُ باعتناقه.

-وبالتأمل في آيات الله الكونية.

-وبالاجتهاد في الطاعات بأنواعها فرضها ونفلها.

وإن من أعظم أسباب نقصان الإيمان:

-الجهل والغفلة، والإعراض عن الله جَلَّجَلَالُهُ، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه:١٢٤].

-وهكذا فعل المعاصي وارتكاب الذنوب

بأنواعها وتفاوت مراتبها

-واتباع خطوات الشيطان، والاستجابة لوساوسه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[النور:٢١].

-والإقبال على الدنيا والافتتان بها.

-وعدم القناعة منها، وتقحُّم أبواب الحرام في طلب المعيشة.

ومن أسباب ضعف الإيمان: رفقاء السوء، فإنه ليس شيءٌ أبلغ في فساد الرجل وصلاحه من صاحب، قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِل». [رواه أبو داود]

فنسأل الله علمًا نافعًا وإيمانًا دائمًا وهديًا قيّمًا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث رحمة للعالمين.